



من يرينا خيراً؟

أراد سليمان الحكيم أن يتذوق طعم كل لذة تحت الشمس ليرى ماهو الخير لبني البشر حتى يفعلوه مدة أيام حياتهم وقد وضع الله بين يديه فرصة الحصول على كل ما يتمناه القلب البشري تحت الشمس فقد استطاع أن يجمع كل ما اشتتهه نفسه في وقت واحد إذ قال "ومهما اشتتهه عيناى لم أمسكه عنهما. لم أمنع قلبي من كل فرح" ولكن ماذا كان نتيجة اختياره؟ كانت النتيجة التي استخرجها لنفسه ولنا أيضاً "باطلُ الباطلِ الـكُلُّ باطلٌ وقبضُ الريح، ولما من فاعة تحت الشمس" ما أحوجنا أن نستحضر هذا القول أمام تصورنا وأمام فكرنا عندما نمر بمناظر العالم الخلابة حولنا - عندما نمر بالمجنات والمفرديس. عندما نمر بمواكب الاحتفاء والتبجيل لعظيم من الناس، عندما نمر بأماكن اللهو واللعب، بأماكن الأغاني والمطرب، أن نذكر ونرجع ذلك القول الحكيم "الـكُلُّ باطلٌ وقبضُ الريح، ولما من فاعة تحت الشمس" وهذا ليس حكم سليمان بل حكم الله على الأشياء التي تحت الشمس أعطاه لسليمان أن يقوله لنا كمختبر ومُجرب لكل ماهو تحت الشمس. فالإنسان لن يجد الخير في الأرض بل ولما تحت الشمس، فمهما عمل الإنسان فعمله باطل وقبض الريح ولذا نجد لسان حال كل إنسان عامل لنفسه لعله يجد الخير "من يرينا خيراً؟". وكما كان أيوب أيضاً مثالاً للذين يطلبون البر لأنفسهم بعمل أيديهم فالواحد كان يعمل لقلبه والآخر كان يعمل لضميره ولكن ماذا كانت النتيجة التي وصل إليها كل من هذين الاثنين اللذين وضعنا أمامنا في الكتاب كمثال لسالكى طريق كل من يريد أن يعمل لخير نفسه، لقلبه أو لضميره؟ الواحد يقول "بس مع المأذن قد سمعت عنك، والمأن رأتك عيني" (أي 42: 5،6) والآخر يقول "الـكُلُّ باطلٌ".

وأما الذي ينظر إلى ما فوق الشمس، إلى مصدر الخير، إلى الذي يأمر بالخير، فيستطيع أن يختبر في نفسه قوة السلام والفرح اللذين لا يستطيع العالم أن ينزعهما أو يؤثر عليهما، فتحويل النظر إلى الله، إلى الله وحده، كمن هو الخير الحقيقي للنفس، هو طريق الوصول إلى السرور الحقيقي "كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. 14. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْمَآبِدِ" (يو 4: 13، 14).

فهل أنت أيها القارئ العزيز من الذين يريدون أن يجدوا الخير لنفوسهم بعملهم فيما هو تحت الشمس ؟ إن كنت الآن تريد أن تجرب ذلك فلسوف تحصد حسرةً وندماً.